

## فرقة الخوارج

بقلم فريد مصطفى عز الدين

فرقة الخوارج من تلك الفرق الهدامة التي نشأت في مختلف مراحل التاريخ الاسلامي ، وكانت حرباً على الدولة الاسلامية ، وعقبة كأداء في طريق عزمها وازدهارها . أما العوامل التي أدت إلى ظهور الخوارج فكانت في بادئ الأمر سياسية ثم ما لبثت ميولهم أن اتجهت إلى الناحية الدينية فأخذوا يحوكون حولها معتقداتهم ونظرياتهم

تسميتهم

لا نجد في التاريخ الاسلامي كله فرقة تسمى أسماؤها كهذه الفرقة ، غير أن اسم الخوارج قد غلب عليها . وقد سماوا بالخوارج لخروجهم على الامام علي بن أبي طالب في معركة صفين سنة ٣٧ هجرية لقبوله التحكيم وقولهم : لا حكم إلا لله ، لا حكم للرجال . ويقول بعض المؤرخين إنهم دعوا بالخوارج لخروجهم بعد ظهور نتيجة التحكيم في رمضان سنة ٣٧ هجرية من الكوفة إلى النهروان . ثم تطور هذا الاسم فأصبح يطلق على كل جماعة خرجت على القانون والسلطة الحاكمة سواء في صدر الاسلام أو زمن التابعين

أما الخوارج أنفسهم فيقولون إنهم سموا بهذا الاسم لخروجهم من بيوتهم طلباً للجهاد والاستشهاد في سبيل إعلاء كلمة الله والدين الحنيف ، ويستندون في ذلك على قول الله تعالى : « وإذا كنت فيهم فأقت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم فمماك وليأخذوا أسلحتهم فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ، ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك ، وليأخذوا حذرهم وأسلحتهم ، وادّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ، ولا جناح عليكم إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى أن تضعوا أسلحتكم وخذوا حذرکم إن الله أعدّ للكافرين عذاباً مهيناً »

وهناك اسم آخر يطلق على هذه الفرقة وهو اسم الشراة ،

ويقال إن الخوارج يفضلونه على الاسم الغالب عليهم ، لأن هذه التسمية تعني أنهم اشتروا الجنة بالدنيا واستبدلوا الباقية بالفانية استناداً على الآية الكريمة : « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بهده من الله فاستبشروا ببشيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم » ودعت هذه الفرقة أيضاً فرقة المحكمة ، وذلك لأنها حكمت الله تعالى ورفضت تحكيم العبيد . ويميز المؤرخون الفرقة الأولى من الخوارج التي انشقت على علي بن أبي طالب في صفين عن الخوارج بدعوتها الفرقة المحكمة الأولى أو الحارورية نسبة إلى حاروراء بقرب الكوفة ، وهي السكان الذي خرجوا إليه ، ويدعون بقية الخوارج فرقة المحكمة

تسميتهم

من الصعب أن نميز العلاقة بين ظهور الخوارج ومسألة التحكيم ، فنقول إن هذه نتيجة لتلك وإنه لولا مسألة التحكيم لما اعترى جيش الامام علي ذلك الانقسام ولما نشأت فرقة الخوارج ؛ وقد عني البعض يبحث هذه النقطة فتبين لهم بعد دراسة عميقة أن نشوء الخوارج ومسألة التحكيم مستقلتان عن بعضهما استقلالاً تاماً . ويمتد المستشرقون لامانس وكايتاني وولهاوسن أن فرقة الخوارج ظهرت قبل التحكيم مما يدل على صحة الرأي القائل باستقلال المائلين ببعضها عن بعض . ولكن المستشرق ديلافيدا يخالف رأي لامانس ورفيقه ، ويقول إن الخوارج ظهوروا بعد التحكيم

معركة صفين

تولى علي بن أبي طالب الخلافة والعالم الاسلامي في غليان شديد من جراء مقتل الخليفة عثمان بن عفان وعواقب هذه الجريمة ، فلم تكن مبايعته بالاجماع كأسلافه . وكان عدوه الأكبر معاوية بن أبي سفيان والي الشام الذي خرج طالباً للنار من قاتل قريبه الخليفة المنصور . فلما انتهى علي من أمر طلحة ابن عبد الله والزبير بن العوام في موقعة الجمل بالقرب من البصرة سار طالباً معاوية فالتقى الجيشان في سهل صفين وهو مكان قريب من بلدة الرقة في شمالي شرقي الشام

سنة ٦٥٨ ميلادية ، وتغلب عليهم ، غير انه دفع عن هذا النصر غالباً ، لأن هذه الدرّة أضمت جيشه فأصبح عاجزاً عن السير إلى سورية لحرب معاوية ، وبقي بالكوفة إلى أن قتله ابن ملجم الخارجي سنة ٦٦١

#### الخوارج في عهد الدرّة الاموية

اشتدت في عهد الدولة الأموية قوة الخوارج ، وكانوا من العوامل الرئيسية التي طاحت بحكم الأمويين ، فإمام خليفة أموي إلا ثاروا عليه ، غير أنهم ظهروا واشتهروا خصوصاً في زمن الخليفة عبد الملك بن مروان ، وكانت ميادين القتال العراق وخراسان . وقد بدأ بقتال الخوارج مصعب بن الزبير - شقيق عبد الله بن الزبير منافس عبد الملك بن مروان في الخلافة - وكان قائده المهلب بن أبي صفرة . ولما تغلبت قوات عبد الملك على الزبيريين وقتل مصعب كان لا يزال المهلب يحارب الخوارج فبايع عبد الملك بالخلافة حالما بلغه نبأ مصعب وتابع قتاله .

ثم أرسل عبد الملك في سنة ٧٥ هجرية الحجاج بن يوسف الثقفي والياً على العراق فتمكن بشدة بأسه من خضد شوكة الخوارج . وقد امتازت فرقة الأزارقة أتباع نافع بن الأزرق من فرق الخوارج ببسالتها وشدتها واسمائها في ميادين القتال والنزال

#### الخوارج في عهد الدرّة العباسية

ضمت أمر الخوارج في عهد الدولة العباسية ولم تعد فرقهم خطراً على الدولة الاسلامية كما كانت نشأتها في العصر الأموي ، غير أنهم لم يدموا أوطاناً قاموا فيها ببعض الثورات والفتن . وقد اشتهرت من بين فرقهم في هذا العهد فرقة الاباضية أتباع عبد الله بن أباض التي ظهرت في عمان وعلى الخليج الفارسي وفي افريقيا الشمالية أي تونس الخضراء والجزائر والمغرب الأقصى ولما غالب الخوارج على أمرهم في الناحية السياسية أخذوا ينصرفون إلى الناحية الدينية ويحكون حولها نظراتهم ومعتقداتهم الدينية

#### نصيب الخوارج رشحهم في المعتصمات الدينية

عرفت فرق الخوارج واشتهرت بتصلبها الديني الشديد وتمسكها بالمعتقدات الدينية التي تدب بها ، ولذا كانت كل جماعة منهم ترى أن زعيمها بدأ يتحرف عن المبادئ التي تعترف بها

وفي أول صفر من سنة ٣٧ هجرية ، ابتدأ القتال بين الفريقين فرجحت كفة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، فخاف معاوية العاقبة ، وعمد إلى الحيلة يساعده على إيقانها الداهية الأكبر عمرو ابن الماص . وبينما كانت الحرب مستمرة إذا بجنود الشام يرفعون المصاحف فجأة على أسنة الرماح طلباً للتحكيم . فلم يؤخذ على هذه الحيلة ، وقرر الاستمرار في القتال إلى أن يقضى الله أمراً كان مفعولاً . ولكن فريقاً كبيراً من جنود علي قبل التحكيم وحمل زعيمه على قبوله رغماً عنه . وبعد أن رضى الامام بالتحكيم قام فريق آخر من جنوده يندد بالتحكيم ، ويصبح : لا حكم إلا لله ، لا حكم للرجال ، ويظهر أنه كان بين هذا الفريقين بعض من أتباع الفريق الأول . فانقسم بذلك جيش علي إلى شطرين ، ونجحت الحيلة التي قال فيها عمرو « إن قبل خصومنا التحكيم اختلفوا ، وإن رددوه ائترقوا »

ولما ظهرت نتيجة التحكيم التي تقضى بخلع علي عن الخلافة - ولا أقول معاوية ، لأن اقرار عمرو بن الماص بخلع صاحبه لم يؤثر في مركز معاوية لأن خلمه كان وهماً ، إذ أن معاوية لم يكن خليفة ليخلع عن عرشها - رفض علي قبولها ، وهكذا أضمت نتيجة التحكيم مراكز علي وقوت مراكز معاوية

فقوت يرفض علي لنتيجة التحكيم حجة الفريق القائل بعدم قبول التحكيم منذ ابدى الأمر ، واكتسب إلى صفه جميع الموتورين من سياسة الامام . وهكذا ترى أن فريق الخوارج كان مؤلفاً من جماعات متفككة المرى تجمعها مناواة سياسة علي ، إما لأنه لم يقبل التحكيم أولاً أو لأنه قبل التحكيم تانياً ، أو لأنه رفض قبول نتيجته ثالثاً . والقسم الأكبر من الخوارج هم الذين أخذوا على علي قبوله التحكيم صارخين : لا حكم إلا لله . ثم انضم إلى هذه الفرق المختلفة كل من كان ناقماً على السلطة أو خارجاً على القانون ، حتى أصبح معسكر الخوارج ماجاً لهؤلاء ، أيام الراشدين والأمويين والعباسيين

وبعد انشقاقهم على جيش الخليفة ساروا إلى حاروراء وانتخبوا عبد الله بن وهب الراسبي خليفة عليهم . وقد اضطر على أن يحمل عليهم قبل أن يسير لقتال معاوية ليأمن شرمهم ، فقتلهم في معركة عظيمة تدمى معركة النهراوان في ٨ يوليو

وينتسب الأزارقة - ومنهم أشد مذاهب الخوارج تصلباً - إلى أن مخالفتهم مشركون ، ودرجة الاشرار عندهم أشد وأدنى من درجة الكفر ، فهم يستبيحون قتل مخالفتهم مع نسائهم وأولادهم

ومن الغريب أن هذه الفرقة التمتصبة لذهبها ، الصلبة في معتقداتها ، القاسية على إخوانها من المسلمين متسامحة مع اليهود والنصارى وغيرهم من النعمين . والبعض من الأزارقة يعتبر غير المسلم مؤمناً إذا اعترف برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العالمين . ويظهر تسامحهم نحو غير العرب في أنهم يجيزون خلافة كل مسلم سواء أكان خبيثاً أم عبداً زنجياً

ويتردد بعض الخوارج في قبول سورة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم لاعتقادهم أنها سورة غرامية ، فلا يمكن أن يحويها كتاب الله . والبعض الآخر يتردد في قبول سورة أبي لهب

أما في الفقه فهم لا يترفون من أصوله الأربعة إلا بالقرآن الكريم والسنة الشريفة واجماعهم فقط لا إجماع الأمة الإسلامية . أما القياس فلا يترفون به ولا يقبلونه ركناً رابعاً للشريعة الإسلامية السمحاء التي سماها الله جل جلاله للمسلمين نبياً وممواتاً . أما التفسير فهم لا يقيدون أنفسهم به ولا يؤولون

ويظهر تصليبهم الديني بوضوح في فروض الصلاة ، إذ لا يكتفي في نظرهم أن يكون الجسم عند الصلاة طاهراً ، بل يجب أن يكون الفكر كذلك ، لاعتقادهم أن الفكر السوء يبطل الصلاة كما أن الجسم الملوث يبطلها . ونظراً لتصلبهم الشديد في معتقداتهم السياسية والدينية دعاهم بعض المؤرخين الغربيين *The Paritans of Islam*

### فلسفة الخوارج وأدبهم

ويمثل الخوارج في إحدى فرقهم حركة فكرية لا يستهان بها جعلت المشرق الكبير دياراً لا يجزم بأنه يجب أن يكون من جراء ذلك علاقة وثيقة بين المنزلة والخوارج . وتنعصر أهميتهم من الناحية الفلسفية في إثارته مسألة الإيمان والعمل وكان مجرد تطرف معتقداتهم يجذب إليهم أحياناً البعض من العلماء والأدباء والشعراء الذين تصهروهم الباطن المنطرفة

انشقت عنه وعن أفراد فرقها وكونت لها فرقة خاصة ، وهذا هو السبب في تمدد فرق الخوارج وتسميتها : ومن هذه الفرق الفرقة الاباضية والفرقة الصفارية والأزارقة والمجاردة والنجدات وغيرها . وكانت كل فرقة تنقسم إلى فرق صغيرة عديدة ، وقد ذكر الشهرستاني في كتابه « الملل والنحل » ثمانى فرق من الأزارقة . ولا ريب أن اتسام الخوارج إلى فرق متعددة كان عاملاً قوياً في إضمار شأنهم وزوال هيبتهم

### معتقدات الخوارج السياسية

قلنا في صدر هذا المقال إن حركة الخوارج بدأت حركة سياسية ثم تحولت بعض الوقت إلى حركة دينية . ولذا فإن معتقداتهم تدور على وجهين سياسى ودينى . فأما معتقداتهم السياسية فتدور حول مسألة الخلافة ، ولهم في هذه المسألة مواقف أساسية يخالفون بها السنة والشيعية . فهم مثلاً لا يقيدون جنسية الخليفة ولا يمانون في أن يكون حتى زنجياً ، بينما أن السنيين لا يجيزون سوى انتخاب قرشي للخلافة . أما الشيعة فيذهبون إلى أبعد من ذلك ولا يترفون إلا بالخليفة الذي هو من آل البيت ولا يرى الخوارج أن من الضروري وجود خليفة على رأس الأمة إذا انتظمت أمور الرعية ، بينما أن الشيعيين يقولون بوجود بقاء الامام في كل عصر ودهر . أما السنيون فليس عندهم إجماع عام على هذه المسائل

وليس الخليفة معصوماً عن الخطأ كما هو الحال عند الشيعة ، فهم يجوزون القيام عليه حتى قتله إذا بدا منه اعوجاج أو عدل عن الصراط المستقيم الذي يتحتم على الخلفاء أن يتبعوه . وهم لا يترفون من الخلفاء الراشدين إلا بالشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ولا يترفون بالخلفاء الأمويين والعباسيين وأصحاب موقعة الجمل أى طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام

### معتقدات الخوارج الدينية

أشرت آنفاً إلى التصاب الديني الشديد الذي اشتهر به الخوارج ، فهم يطلبون من المؤمن أن يقرب إيمانه بالعمل الحسن إذا أراد الثواب ، لأن الإيمان وحده غير كاف لدخول جنة الفردوس . ويكفر الخوارج صاحب الكبيرة ، فهم بذلك على عكس فرقة المرجئة التي ترى تكفير المؤمن إلى يوم القيامة .